

خطبه الجمعة - الخطبة ٤٥ : السعادة ٢ - الدنيا دار التواء لا دار استواء .

لضييلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٧٥-٠٧-٢٥

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى :

الحمد لله نحده ، و نستعين به و نسترشد به و نعوذ به من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، و من يضل فلن تجد له وليناً مرشدًا ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لك ، إقراراً بربوبيته و إرغاماً لمن جد به و كفر ، و أشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق و البشر ، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر ، اللهم صلي وسلام وبارك على سيدنا محمد و على آله و أصحابه و ذريته و من تبعه ذي إحسان إلى يوم الدين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يسرون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

### تمهيد

أيها الإخوة المؤمنون ؛ وصلنا في الخطبة السابقة من خلال قصة قارون التي عرضها القرآن الكريم إلى أن الغنى بغير إيمان واستقامة ليس دليلاً على حظوة العبد عند ربها ، بل كثيراً ما يدفع صاحبه إلى التشبت بالحياة الدنيا والتکنيب بآيات الله ورسله ودعاته من أجل الحفاظ عليها ، قال تعالى :

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُ الْضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾

[آلية: ١٦: سورة البقرة]



﴿أَيُحسِّبُونَ أَنَّمَا نُمَدِّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَنَا \* نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفَقُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِأَيَّاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ \* وَالَّذِينَ يُؤْتَوْنَ مَا أَتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾

[سورة المؤمنون]

## علة وجود الإنسان

أيها الإخوة ؛ معظم الناس لا يعلمون ، أولاً يبحثون عن الغاية التي أرادها الله من خلقهم ولا يعلمون ، أو لا يبحثون عن علة مجدهم إلى هذه الدنيا ، ولم يعرفوا ، ولم يتعرفوا فهمتهم في حياتهم الدنيا ، قال تعالى :

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا \* أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَيَّاتِ رَبِّهِمْ وَلَقَاهُمْ فَحَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا \* ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا أَيَّاتِي وَرُسُلِي هُزُوا﴾

[سورة الكهف الآيات: ١٠٣-١٠٦]



بل إن لهم في الحياة فلسفة يؤكدها سلوكهم ، نطقوها بها أو لم ينطقوا إنهم يرون الحياة الدنيا هي كل شيء ، ولا شيء سواها ، قال تعالى :

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾

[الآية: ٧٢ سورة الروم]

لذلك تراهم منكبين على جمع المال ، من طريق مشروع أو غير مشروع ، ولا يبالون أكان من حرام أم من حلال ، كل ذلك من أجل أن يعبوا من المتع الحسية ، والرفاه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، ولكن ما الذي يحدث وترونه بأم أعينكم ؟ إن هؤلاء الذين نسوا ربهم ، واليوم الآخر ، لم يسعدوا في دنياهم كما كانوا يتصورون ، فالدنيا لا تستقيم لواحد من الناس إن أُتي أحد المال سلب الصحة ، وإن أُوتى الصحة سلب السكينة ، قال عليه الصلاة والسلام :

(( إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ومنزل ترح لا منزل فرح ))

وفي القرآن الكريم قال تعالى :

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَتَحْشِرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[الآية: ١٢٤ سورة طه]

وَهُبَّ أَنَّ الدِّنِيَا اسْتَقَامَتْ لَوَاحِدٍ مِّنَ النَّاسِ ، بَعْدَ جَهْدٍ جَهِيدٍ وَسُعِيَ حَثِيثٍ وَقَدْ ضَيَعَ مِنْ أَجْلِهَا رِبْيَعُ عُمْرِهِ ، وَزَهْرَةُ شَبَابِهِ ، إِنَّهُ مَا يَكُادْ يَجْمَعُ ثَرَوَةَ لِيُسْعَدُ بِإِنْفَاقِهَا ، وَمَا يَكُادْ يَقْطُفُ ثَمَارَ أَتْعَابِهِ حَتَّى يَأْتِي مَلْكُ الْمَوْتِ لِيُسلِّبَهُ فِي ثَانِيَةٍ وَاحِدَةٍ مَا جَمَعَهُ فِي عُمْرٍ مُدِيدٍ ، إِنَّهُ لَمْ يَذْقَ فِي حَيَاتِهِ طَعْمَ الرَّاحَةِ ، وَلَا طَعْمَ السَّكِينَةِ ، وَمَعَ ذَلِكَ جَاءَ مَلْكُ

الْمَوْتِ قَبْلَ أَنْ يَتَوَقَّعَ مَجِيئَهُ ، وَلَمْ يَعُدْ لَحَيَاتِهِ الْأَبْدِيَّةَ شَيْئاً مِّنْ اسْتِقَامَةٍ ، وَعَمَلٌ صَالِحٌ يَلْقَى بِهِمَا رَبَّهُ ، يَقُولُ :

**﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾**

[الآية: ٢٤: سورة الفجر]

**﴿وَيَوْمَ يَعْصُمُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا \* يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ اتَّخَذْ فُلَاتًا خَلِيلًا \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدِ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلنِّسَانِ خَذُولاً﴾**

[سورة الفرقان]

**﴿هَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونَ \* لَعَلَّيَ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلْمَةُ هُوَ قَائِلُهَا وَمَنْ وَرَاهُمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبَعْثُونَ \* فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ \* فَمَنْ ثُقِّلتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمِ خَالِدُونَ \* تَلْفُحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوْنَ \* أَلَمْ تَكُنْ أَيَّاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ \* قَالُوا رَبَّنَا خَلَبَتْ عَلَيْنَا سِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ \* رَبَّنَا أَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ \* قَالَ أَخْسَئُوكُمْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ \* إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ \* فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحِكُونَ \* إِنَّمَا جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوكُمْ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ \* قَالَ كُمْ لِبَسْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ \* قَالُوا لَبَثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلُ الْعَادِيَنَ \* قَالَ إِنْ لَبَثْتُمْ إِلَيْا قَلِيلًا لَوْ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْتُكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ \* فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ \* وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا يُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ \* وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾**

[سورة المؤمنون الآية: ٩٩-١١١]



لا تستقيم الحياة لأحد فإن أوتي المال سلب الصحة

إنه لم يذق في حياته طعم الراحة ، ولا

طعم السكينة ، ومع ذلك جاء ملك

الموت قبل أن يتوقع مجئه ، ولم يعد لحياته الأبدية شيئاً من استقامة ، وعمل صالح يلقى بهما

ربه ، يقول :

«**﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾**

[الآية: ٢٤: سورة الفجر]

**﴿وَيَوْمَ يَعْصُمُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا \* يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ اتَّخَذْ فُلَاتًا خَلِيلًا \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدِ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلنِّسَانِ خَذُولاً﴾**

[سورة الفرقان]

**﴿هَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونَ \* لَعَلَّيَ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلْمَةُ هُوَ قَائِلُهَا وَمَنْ وَرَاهُمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبَعْثُونَ \* فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ \* فَمَنْ ثُقِّلتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمِ خَالِدُونَ \* تَلْفُحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوْنَ \* أَلَمْ تَكُنْ أَيَّاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ \* قَالُوا رَبَّنَا خَلَبَتْ عَلَيْنَا سِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ \* رَبَّنَا أَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ \* قَالَ أَخْسَئُوكُمْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ \* إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ \* فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحِكُونَ \* إِنَّمَا جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوكُمْ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ \* قَالَ كُمْ لِبَسْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ \* قَالُوا لَبَثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلُ الْعَادِيَنَ \* قَالَ إِنْ لَبَثْتُمْ إِلَيْا قَلِيلًا لَوْ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْتُكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ \* فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ \* وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا يُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ \* وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾**

[سورة المؤمنون الآية: ٩٩-١١١]

أيها الإخوة ؛ إذا لم يكن خلقنا عبثاً كما يؤكد القرآن الكريم ، فلماذا خلقنا إذن ؟  
ولم جيء بنا إلى الدنيا ؟  
وهل لنا من مهمة علينا أن نؤديها ؟  
وإن كان كذلك فما هي ؟

وما الهدف الذي يجب أن نسعى إليه حتى لا نقف موقف الحسرة والندم وموقف الخيبة والخسران يوم القيمة ؟

هل خلقنا من أجل جمع المال ، ثم توريته إلى أولادنا يعبثون به ، ويتلفونه في أقصر وقت؟ ..  
ولا نرى المال وحده بمسعد للإنسان ، فضلاً عن أن صاحبه إن لم يكن مستثيراً مهتماً كان أقرب إلى الانحراف والتكذيب ...

هل خلقنا من أجل تحصيل الشهادات وحدها ، وتعليقها على الجدران والتبرج بها واستغلالها مادياً إلى أبعد الحدود ، ولا نرى من حصلوا هذه الشهادات العلمية بحاجزتهم عن معاصي الله فضلاً عن أنها لا تسمى بالنفوس الوضيعة ، ولا تطهرها من نزواتها الشريرة .  
مع أن المؤمن مكلف أن يتعلم هذه العلوم لأنها سلاح العصر الأول .



هل خلقنا من أجل أن ننغمض في الشهوات حتى قمة رؤوسنا ، وإذا وفر الانغماس في لذة مؤقتة فإنه لا يضمن للإنسان سعادة مستمرة فضلاً عن أن قدرة الإنسان على الاستمتاع بالمادة محدودة ، فالشباب لا يدوم والصحة تنتقص والمال قد يزول .

فلماذا خلقنا إذن ، خلقنا من أجل أن نتعرّف إلى ربنا فنسعد بمعرفته

وننقرب إليه فننعم بقربه ، ومن أجل أن ننخد من الدنيا مطية للأخرة لذلك قال الله تعالى :

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنْتَوِعُ بِالْعُصْبَةِ أُولَئِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ \* وَابْتَغْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةِ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾

[سورة القصص الآية: ٧٦-٧٧]

## ﴿وَابْتَغِ فِيمَا أَتَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾

[٧٧] سورة القصص الآية:

أي أجعل من منصبك قوة للضعف قال عليه الصلاة والسلام :  
(( ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه ، إلا أن يتزود منها معاً ، فإن الأولى مطيبة للثانية ))

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
((من كانت الآخرة همة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شملة وأنته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همة جعل الله فقرة بين عينيه وفرق عليه شملة ولم يأتيه من الدنيا إلا ما قدر له))

[أخرجه الترمذى]

اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا .  
اللهم اجعلها بين أيدينا راغمة ونحن في طاعنك ، ولا تجعلنا نلهمث وراءها ونحن في معصيتك .  
اللهم بارك لنا فيما قسمته لنا منها ، ورضنا به ، واجعل الآخرة أكبر همنا ومتنهى آمالنا ، وعد علينا بعوائدك الحسنة يا كريم .  
أو كما قال .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وصلوا ما بينكم وبين ربكم تسعدوا ،  
واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتحذر ، الكيس من  
دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

\*\*\*

### الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولـي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عـبـدـه  
ورسولـه صاحـبـ الـخـلـقـ الـعـظـيمـ .

### الـدـعـاءـ :

اللهـمـ اهدـنـاـ فـيـنـ هـدـيـتـ ، وـعـافـنـاـ فـيـنـ عـافـيـتـ ، وـتـوـلـنـاـ فـيـنـ تـوـلـيـتـ ، وـبـارـكـ لـنـاـ فـيـنـ أـعـطـيـتـ ، وـقـنـاـ  
وـاصـرـفـ عـنـاـ شـرـ مـاـ قـضـيـتـ ، فـإـنـكـ تـقـضـيـ بـالـحـقـ وـلـاـ يـقـضـيـ عـلـيـكـ ، اللـهـمـ أـعـطـنـاـ وـلـاـ تـحرـمـنـاـ ،  
أـكـرـمـنـاـ وـلـاـ تـهـنـاـ ، آـثـرـنـاـ وـلـاـ تـؤـثـرـ عـلـيـنـاـ ، أـرـضـنـاـ وـارـضـ عـنـاـ ، اللـهـمـ صـنـ وـجـوهـنـاـ بـالـيـسـارـ وـلـاـ  
تـبـذـلـهـاـ بـالـإـقـتـارـ ، فـنـسـأـلـ شـرـ خـلـقـكـ ، وـنـبـتـلـ بـحـمـدـ مـنـ أـعـطـيـ ، وـنـمـ مـنـ مـنـعـ ، وـأـنـتـ مـنـ فـوـقـهـمـ وـلـيـ  
الـعـطـاءـ ، وـبـيـدـكـ وـحـدـكـ خـرـائـنـ الـأـرـضـ وـالـسـمـاءـ .

اللهم اهدا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت ، واصرف عنا شر الأعمال لا يصرفها عنا إلا أنت .

والحمد لله رب العالمين